كونراد الرابع بين الصراع البابوي والواجب الصليبي (١٢٢٨-١٢٥٤م)

د. هشام علي أبوالنجاه علي

كلية الآداب –جامعة كفر الشيخ

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة وتحليل موضوع الملك الألماني كونراد الرابع بين الصراع البابوي والواجب الصليبي الذي عاش في المدة من عام ١٢٢٨م حتى عام ١٢٥٤م، متتبعًا موقف الملك الشاب من صراعه مع البابا إنوسنت الرابع – ذلك الصراع الذي ورثه عن والده الإمبراطور فريدريك الثاني، وكيف أصبح حائرًا طوال عمره القصير الذي لم يتجاوز السادسة والعشرين عامًا، ما بين استكمال الصراع السياسي والعسكري ضد البابوية ، وبين أداء واجبه تجاه صليبيّ الشام، خاصة وأن القدر قد اختاره ملكًا عليهم منذ ولادته حتى وفاته في ريعان الشباب، مع رصد خاص لتأثير إنغماسه في الصراع على موقفه من القضية الصليبية.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، منها:أن صليبي الشام كان لديهم الأمل – ولعدة سنوات في أن يأتي كونراد لتولي أمرهم ، وهو مالم يحدث طيلة عمره القصير حتى بعد أن أصبح حاكمًا خلفا لوالده فريدريك الثاني، أن الصراع المرير الذي دار بين إنوسنت الرابع و كونراد الرابع، نتج عنه الكثير من السلبيات التي ألقت بظلالها على الكيان الصليبي الموجود في بلاد الشام ، فقد كان لهذا الصراع أثره بعد أن بات عائقًا في وصول العديد من الإمدادات والمساعدات للصليبيين، وان البابا إنوسنت الرابع كان سببًا في كره صليبي الشام لكونراد بعد إظهاره بمظهر الشخص المتخاذل عن نجدتهم، بل أن البابا عدّ حربه – ضد كونراد جزء من الحرب المقدسة ضد المسلمين ومن ناحية أخرى لا شك أن مصلحة الصليبيين لم تكن تشغل كونراد –بصفته ملكًا على المملكة الصليبية الإسمية في الشرق –بقدر رغبته في إثبات هيبته وتوطيد سلطته أمام البابا، ومن ثم تأثر أحوال صليبي الشرق تأثرًا مباشرًا بالعلاقة المتوترة بين طرفي النزاع الأوروبي.

الكلمات المفتاحية: كونراد الرابع – إنوسنت الرابع – الصليبيين–الصراع البابوي.

Abstract:

The study aims to study and analyze the life of the German King Conrad IV, who lived from 1228 to 1254 AD, between the papal conflict and the Crusade duty, tracing the position of the young king regarding his conflict with Pope Innocent IV, the conflict that he inherited from his father, Emperor Frederick II. It discusses how he became confused throughout his short life, which did not exceed twenty-six years, between accomplishing the political and military struggle against the papacy, and fulfilling his duty towards the Crusaders of the Levant whom he ruled since his birth until his early death. Thus, it sheds lights on the impact of his immersion in the conflict on his duties towards the Crusades.

The study concluded that the Crusaders of the Levant had, for several years, hoped that Conrad would come to take over their rule, the hope that had never been fulfilled during his short life, even after he ascended to the throne after his father, Frederick II. The vicious conflict between Innocent IV and Conrad IV negatively affected the Crusaders of the Levant, especially the arrival of the supplies and aids to them. Conrad's conflict with Pope Innocent IV was also the main reason for the Crusaders of the Levant to hate him after he came short to their expectations. In fact, the Pope considered his war against Conrad as part of the holy war against the Muslims. Undoubtedly, the interests of the Crusaders did not concern Conrad – in his capacity as king of the nominal Crusader kingdom in the East – as much as his desire to prove his power and authority to the Pope, and thus the conditions of the Crusaders in the East were directly affected by the strained relationship between the two sides of the European conflict.

Keywords: Conrad IV, Innocent IV, Crusaders, papal conflict

أدت الأوضاع السياسية في أوروبا دورًا كبيرًا في موقف الأوروبيين من مساندة الصليبيين في بلاد الشام، فمن المعروف أن الغرب الأوروبي في العصور الوسطى شهد نزاعًا حادًّا بين البابوية والإمبراطورية استمر من عام ١٠٥٧م حتى مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، ومر بمراحل وأدوار عدة تخرج عن نطاق بحثنا(١)، ورغم وجود أسباب ظاهرة أدت إلى إثارة الحرب بين الفريقين في كل دور؛ فإن السبب الحقيقي الكامن وراء هذا النزاع في أدواره جميعًا هو مبدأ السمو والتنافس بين السلطتين الكنسية والعلمانية على سيادة العالم، وأيهما أسمى البابا أم الإمبراطور؟ وأيهما يجب أن تكون له الكلمة الأولى في العالم الغربي، السلطة الكنسية أم السلطة الزمنية؟ وبعبارة أخرى كان الصراع بين الطرفين حول السلطة والنفوذ(٢)، وكان بطل الدور الثالث من أدوار هذا النزاع هو الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني ، الذي ساعدته البابوية –الممثلة في البابا إنوسنت الثالث Innocent III(١١٩٨-١٢١٦م)(٣) في الحصول على حقه في عرش الإمبراطور، والقضاء على خصمه أوتو الرابع Otto IV عام ١٢١٤م ، دون أن تدري البابوية أن هذا الإمبراطور وأولاده سيكونون أخطر خصومها في القريب العاجل، ذلك أن فريديريك لم يكد يسيطر على ألمانيا، حتى تطلعّ إلى إيطاليا وصقلية، مما أثار مخاوف البابا هونوريوس الثالث هونوريوس الثالث(١٢١٦-١٢٢٧م)(٤) وهو الحريص مثل سلفه على أن يجعل من إيطاليا ملكًا بابويا خالصًا(٥)، وازدادت مخاوفه عندما اتضح له أن الإمبراطور غير مكتفٍ بصقلية وجنوب إيطاليا، بل عمل على توطيد سلطاته في الشمال الإيطالي أي ما يعرف بالمدن اللمبارديةـ وهو ما كانت البابوية تخشاه؛ لأنه يضع أملاكها بين شقي الرحى، وجعل بابوات روما ينظرون إلى محاولات فريدريك وسياسته بعين ملأها الشك والخوف، مما قد يتمخض عنه المستقبل(٦) بل إن المدن اللمبارديةـ حليفة البابويةـ أصبحت مهددة أيضًا من أطماع فريدريك(٧)، و في مراحل عديدة من هذا الصراع ظهر كونراد الرابع ابنه وخليفته في الحكم، بل وكان له دور مؤثر فيه سواء في حياة والده أو عندما انفرد بالحكم عقب وفاته، وقد تشابكت أحداث تلك

المرحلة مع تزامنها مع ما يمر به صليبو الشام منذ أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، بعد أن وقع بالغرب الأوروبي في صراع مرير في الوقت الذي كان فيه صليبو الشام في حاجة ماسة لمساعدة الغرب لها.

انطلاقًا مما سبق، كان اختيار الباحث لموضوع كونراد الرابع بين الصراع البابوي والواجب الصليبي في المدة بين عامي (١٢٢٨-١٢٥٤م)، وهي الدراسة التي لم تلق الاهتمام الكافي في الدراسات التاريخية؛ نظرًا لقصر المدة الزمنية التي عاشها كونراد والتي لم تتعد ستة وعشرين عامًا، مما جعل المكتبة التاريخية تكاد تخلو من بحث قائم بذاته يتناول بالشرح والتحليل دراسة كونراد الرابع بين الصراع البابوي والواجب الصليبي، باستثناء ما ورد من وريقات قليلة في دراسة Martin Kaufhold تحت المعنونة " كونراد الرابع آخر ملوك ألمانيا

Konrad IV Deutschlands letzter Stauferkönig والتي اهتمت بشكل رئيس بسياسة كونراد الداخلية [٨]، ودراسة ويلي كون عن الأسطول الصقلي في عهد كونراد الرابع ومانفريد Willy Cohn, Die Geschichte der sizilischen Flotte unter der Regierung Konrads IV واستعين بها في الحديث عن بعض الصدامات العسكرية التي شارك فيها كونراد[٩].

وقبيل الخوض في تفاصيل الدراسة، كان من الأوفق أن نعرض بعضًا من جوانب حياة كونراد، والتي نظرًا لتداخل أحداثها في كثير من الأحيان وتشابكها، كانت بالطبع تشمل إعطاء صورة عن الأحوال السياسية سواء في الغرب الأوروبي، أو في بلاد الشام حيث الوجود الصليبي هناك.

على أية حال، ومع بدء ما عرف بالدور الثالث من أدوار الصراع البابوي الإمبراطوري، ومع استمرار محاولات الإمبراطور فريدريك الثاني تثبيت أقدامه دبلوماسيًّا وسياسيًّا، نجده قد فرض سلطانه على الصليبيين في الشرق، ففي عام ١٢٢٥م وعقب وفاة

زوجته كونستانسConstanse قرر الزواج من يولند Yolandوريثة عرش بيت المقدس، بعد موافقة أبيها والوصي عليها الملك يوحنا دي برايين، وأرسل سفارة لإحضارها للأراضي الإيطالية لإتمام مراسيم الزواج (١٠) ووجدنا البابوية قد رحبت بتلك الزيجة، حيث هدفت إلى إجباره للذهاب على رأس حملة صليبية لاستعادة بيت المقدس؛ لأنه سيصبح بذلك ملك الصليبيين بالوصايه على زوجته، وابنه منها من بعدها(١١).

ما أن وصلت يولندا إلى الأراضي الإيطالية حتى تمت مراسم الزواج في كاتدرائية مدينة برنديزي (١٢) في إيطاليا، في ٩ نوفمبر ١٢٢٥م(١٣)،وعقب ولادتها لكونراد Conrad في٢٣ أبريل ١٢٢٨م ماتت يولندا بعد مولده بستة أيام(١٤) ،ليختلف الوضع القانوني لفريدريك، فلم يعد سوى وصي على الطفل صاحب العرش، أي ازداد موقفه صعوبة، بعد أن غدا الطفل كونراد صاحب الحق الشرعي في المملكة الصليبية في الشرق (١٥).

الجدير بالذكر، إنه مع اعتلاء البابا جريجوري التاسع للكرسي البابوي (١٢٢٧-١٢٤١م) (١٦)، تجدد الصراع البابوي الإمبراطوري، ودون الخوض في تفاصيل ما يعرف بالحملة الصليبية السادسة ، فإن ما يعنينا أنه في أوائل مايو ١٢٢٩م، اضطر فريدريك الثاني إلى العودة إلى الغرب الأوروبي، وذلك عقب وصول أخبار تنذر بسوء الأوضاع في إمبراطوريته؛ نتيجة لحركة المعارضة ضده من البابوية، ومحاولة إثارة منافسيه ضده. في الوقت الذي لم يكن فريدريك قد تمكن بعد من ضبط الأمور الداخلية في عكا، لدرجة حدوث مشاجرة بينه وبين السكان في المدينة، مما أحدث انقسامًا بين الصليبيين. وكان على فريدريك أن يحمي إمبراطوريته وملكه في الغرب، ويحافظ على ما حققه في الشرق، محاولًا إدارة الامور في الشرق اللاتيني من خلال نوابه وبعض حلفائه وأتباعه من مكتسبات التيوتون والألمان وغيرهم(١٧) ، إلا إن هؤلاء الأتباع ما لبثوا وأن أرسلوا إليه بضرورة إرسال ابنه الطفل كونراد إلى الشرق في أقرب وقت ممكن، ليبدو الأمر وكأنه قد أخذ الصيغة الشرعية

لوجودهم، وهو ما لا يهتم به فريدريك [١٨]، بل و كان الظهور الأول لكونراد في السجلات الرسمية بكونه ملكًا على الصليبيين تحت وصاية والده عندما كان في التاسعة من عمره، وظهر اسمه عقب إعلان فريدريك تنصيب الطفل دوقًا على سوابيا عام ١٢٣٥م، ورافق والده في جولة داخل الأراضي الإيطالية في عام ١٢٣٧م [١٩] .

ما أن بلغ كونراد الخامسة عشرة من عمره، وذلك في ٢٥ إبريل ١٢٤٣م، وفي ظل صراع الأمراء الصليبيين ضد سطوة فريدريك الثاني، طالبت المحكمة العليا للصليبيين في عكا، بأن يأتي كونراد إلى الأراضي المقدسة ويتولى حكم المملكة بنفسه[٢٠] ومع ذلك، أعلن الملك الصغير أنه لن يأتي إلى الشرق اللاتيني، وأنه سيرسل توماس الأكويني " Thomas of Aquino" نائبًا عنه في مملكة بيت المقدس.[٢١]، وبالطبع لم يكن كونراد مهيأ لتولي هذه المكانة في تلك المرحلة من عمره، بل ولن يجازف فريدريك بإرسال ابنه الذي يعده ليكون خليفته من بعده في تلك المهمة.

ومن ثم استغل الأمراء الصليبييون هذا الأمر، ورفضوا الاعتراف بكونراد ما لم يأت بنفسه، وطالبوا بفرض سيطرتهم على المملكة الصليبية، بحجة رفض كونراد المجيء لتولي أمرهم ، وبات نائب الأخير في الشرق ليس له قيمة بالنسبة للصليبيين، الذين سيطروا على عدد من المدن منها مدينة صور التي كانت المركز الرئيس لفريدريك الثاني وابنه كونراد في الشرق اللاتيني[٢٢] وعلى أثر ذلك اجتمع الأمراء الصليبييون في عكا، و ذلك في يونيو ١٢٤٣م ؛ وأعلنوا رفض تعيين توما الأكوينى وترشيح أليس Alic ملكة قبرص لتولي أمر المملكة، ووقف المؤرخ والقانوني فيليب أوف نوفار Philip de Novare أمام الأمراء الصليبيين و ممثلي الجماعات الرهابنية العسكرية وأساقفة المملكة فى هذا الاجتماع قائلا: "إنه لا يجب بذل الولاء لكونراد ما لم يأت إلى الشرق ليتلقاه بنفسه، وأنه ينبغي أن يعهد بأمر المملكة حتى يأتي إلى أليس، وبما أن كونراد لم يأت لتسلم مملكته، أيد المجتمعون أحقية

أليس بوصفها الوريثة الشرعية بتولي أمر المملكة"[٢٣] وفي الوقت الذي انشغل فيه فريدريك بصراعه مع البابوية في الغرب، كان نفوذه قد بدأ في الأفول في الشرق اللاتيني، مع نجاح الأمراء الصليبيين في إدارة أمور الحكم والإدارة فيما يسيطر عليه الصليبيون في بلاد الشام، بل ونجحوا في طرد نائب فريدريك هناك، وذلك في عام ١٢٤٣م[٢٤]، وفي حقيقة الأمر، لم يكن كره هؤلاء موجها نحو كونراد، الذي لم يوجد بينهم منذ ولادته، بقدر كرهم لفريدريك ومحاولاته المستمرة للسيطرة عليهم والتقليل من شأنهم .

أدرك فريدريك أن الشرق اللاتيني بات أقرب للخروج عن سيطرته، وفي محاولة منه لفرض سيادته، والعمل على إيجاد ابنه كونراد في صورة الملك الفعلي للصليبيين؛ نظرًا لحركة الرفض الجماعية لذلك، في ظل بلوغ ابنه السن القانونية لتولي إدارة المملكة بنفسه، نجد أن فريدريك الثاني أصدر مرسومًا في سبتمبر ١٢٤٤م يقول فيه: " باسم الإمبراطور فريدريك الثاني والملك كونراد، يأتي توماس الأكويني، نائب الإمبراطورية الرومانية المقدسة في بلاد الشام، ليؤكد على بعض العطايا والمنح لبعض الهيئات الدينية وغيرهم"[٢٥] وهو ما أسهم في تهدئة الأمور عند صليبي الشام بشكل مؤقت.

ومما لا شك فيه، إن كونراد لم يكن في هذا السن قادرًا على إدارة شئون الصليبيين بمفرده، في ظل انشغال والده، تجدد الصراع البابوي الإمبراطوري في الغرب الأوروبي، وذلك مع تولى البابا إنوسنت الرابع Innocent IV الكرسي البابوي في ٢٥ يونيو ١٢٤٣م[٢٦] بعد أن قرر الأخير مواصله الصراع ليس فقط مع فريدريك الثاني فحسب، بل ومع أولاده –خاصة كونراد –ولي عهده والملك الرسمي لصليبي الشام[٢٧] .

بدأت مشاركة كونراد الفعلية في الأحداث مع قيام البابا بإشعال الصراع عندما قام بإرسال حملة عسكرية بقيادة الكاردينال رينييه كابوتشي، نجحت في اقتحام مدينة فيتيربو Viterbo، الواقعة شمال مدينة روما [٢٨]، عندئذ رد فريدريك الثاني بحملة عسكرية كبرى

كان على رأسها ابنه كونراد، وهو في السادسة عشرة من عمره، حيث اجتاحت معظم الأراضي الإيطالية، بل وراسل أهالي روما للثورة على البابا، مؤكدًا لهم أن روما التي تحمل الإمبراطورية اسمها يجب أن تعود العاصمة الفعلية لها[٢٩]، وقد مثل اشتراك كونراد في تلك المواجهات العسكرية مواجهته الأولى ضد البابوية، وبات واضحًا أنه مقدر له فيما بعد استكمال صراع والده عقب وفاة الأخير.

في عام ١٢٤٦م، أصدر البابا قرارًا بحرمان كل من يساعد فريدريك، وحرمت الخدمات الدينية في كل الأقاليم الموالية له، وأعلن عليه هو وابنه كونراد حربًا صليبية، ومنح الذين حملوا الصليب للقتال في الأراضي المقدسة إن هم اشتركوا في قتال هؤلاء الكفار جميع المزايا التي تمنح للصليبيين[٣٠].

ثم ما لبث أن تجددت مشاركات كونراد في أحداث الصراع الدائر ضد البابوية، ففي صقلية، وحسبما أشار المؤرخ المعاصر نيقولا جامسيلا Nicholas of Jamsilla أن أهلها عاشوا في رغد واستقرار وازدهار تحت إدارة فريدريك نتيجة للعدالة التي نشرها هناك[٣١] اجتاحت الشعب موجة من الغضب والانزعاج من مساعي البابا الرامية إلى حرمانهم من ملكهم فريدريك[٣٢]، أما في شمال إيطاليا ووسطها، فحرمان فريدريك قد استقبل كما هو متوقع بالحفاوة والسعادة الغامرة من قبل أتباع البابا وبالسخط من قبل الجانب الآخر المؤيد للإمبراطور ولكي يقوي إنوسنت موقفه في إيطاليا ووسطها دعمه باتفاق مع اللمبارديين يلزم كلا الطرفين بعدم عقد أي منهما سلامًا منفصلًا مع الإمبراطور، عند ذلك قاد كونراد القوات الإمبراطورية، حيث اجتاح الأراضي البابوية محققًا المزيد من الانتصارات العسكرية هناك[٣٣].

في الوقت نفسه، ما لبث البابا في سبيل دعم موقفه، ومع إدراكه لحركة نمو النفوذ الإمبراطوري أن تطلع جديًّا إلى إقصاء الإمبراطور عن ساحة السياسة الأوروبية؛ مما حدا به

إلى إعلان حرب صليبية ضده وضد كل من يسعى أو يحاول السعى في سبيل دعمه ومساندته في محاولة جادة من البابا لتقويض أركان حكم الإمبراطور وزعزعته وفي سبيل ذلك دعا إلى إجراء انتخابات عامة لاختيار من يخلف فريدريك على عرش الإمبراطورية عقب إصدار القرار البابوي بعزله عن العرش الإمبراطوري، بل عدم الاعتراف بكونراد ولي عهده، والبحث عن مرشح للمنصب الإمبراطوري وبالفعل وجد ضالته في هنري راسب Henry Rasp الذي وافق على الفور(٣٤).

ولتحقيق أهدافه، فقد أخذ فريدريك يعد ترتيباته من أجل مواجهة أعدائه الذين كانوا يستعدون أيضًا وبكل الطرق لمواجهته والقضاء على جيوشه واستئصال قواه، حيث ما لبث البابا أن أرسل إلى الأساقفة والنبلاء في ألمانيا يطالبهم بتوفير الإمدادات المادية والعسكرية بسرعة وعلى عجل لمساندة هنري راسب في الوقت ذاته جهز فيه فريدريك جيشا بقيادة ابنه كونراد لقتال هنري راسب حليف البابا، والمدعم منه للثورة على حكم فريدريك في الأراضي الألمانية (٣٥) ومع احتدام المعركة وما أعدته البابوية من تجميع للقوى، فقد كان النصر في تلك المعركة حليفًا لها ولمرشحها في معركة الملوك التي دارت رحاها بالقرب من فرانكفورت Frankfurt في ٥ أغسطس عام ١٢٤٦م(٣٦) ونتيجة لما حدث لذلك، عاد كونراد إلى أبيه يجر أذيال الخيبة، ويحمل عار الهزيمة بعد أن فقد نحو ثلث قواته ما بين أسير وقتيل، حيث أسر راسب نحو ستمائة فارس وستة عشرة نبيلًا، إلى جانب عدد كبير من فرقة المشاة العظماء(٣٧).

ظهر اسم كونراد مجددًا مرتبطًا بالمسألة الصليبية، وذلك في عام ١٢٤٧م، قبيل خروج الملك الفرنسي لويس التاسع بحملته الصليبية – المعروفة بالحملة الصليبية السابعة، حيث حاول أن يصلح بين البابا والإمبراطور فريدريك الثاني. أملًا في حفظ استقرار الأوضاع في الغرب الأوروبي والشرق اللاتيني على حدٍ سواء قبل خروجه بحملته، ولكي ينال دعم

فريدريك الثاني، حتى إن الإمبراطور فوض الملك لويس التاسع أن ينوب عنه بالتفاوض مع البابا، وأعلن فريدريك الثاني أنه سوف يحمل الصليب ويخرج للأراضي المقدسة، ولن يعود مرة أخرى، حيث سيقضي بقية حياته حتى الموت هناك، وإنه سيحارب من أجل استعادة مدينة بيت المقدس مرة أخرى، على أن يتم تثبيت ابنه كونراد مكانه في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، مع عدم إغفال حقوق الأخير في المملكة الصليبية، وإصدار عفوٍ شاملٍ عنه، وأنه سيصبح من بعدها كالطفل المطيع. ومع ذلك، قال البابا إنه استقبل من الإمبراطور الكثير من الوعود، وقد أقسم أن يفعلها، لكنه دائمًا ما يحنث بقسمه ووعده، ورفض التصالح معه(٣٨)، وعلى الرغم من أن لويس التاسع أقسم للبابا بأنه سيتعهد أمام البابا بأن يجعل فريدريك الثاني يفي بوعوده، وأن الأراضي المقدسة في حاجة إلى تصالحهم وتعاونهم. لكن البابا أصر على موقفه وأمر لويس التاسع بالخروج للشرق، وأصبحت حملة لويس التاسع محكومًا عليها بالفشل، لخروجها في جو مليء بالمنازعات والمشاحنات(٣٩).

ما لبث وأن قام إنوسنت الرابع بتعيين أحد المقربين منه، وهو الكاردينال بيير دي سانت جورج Pierre de Saint George حاكمًا على أنكونا Ancona (٤٠) وسبوليتوSpoleto(٤١) وعندما حاول الاستيلاء على صقلية، تصدت له القوات الإمبراطورية بزعامة كونراد الذي تمكن من تحقيق عدة انتصارات على قوات البابوية وحلفائها، واستعاد بعض المدن المهمة التي كانت تحت السيطرة البابوية(٤٢) وحدث وأن توفي الإمبراطور فريدريك الثاني في ١٣ ديسمبر ١٢٥٠م، ليخلفه على الحكم ابنه كونراد الرابع، ليس في الأملاك الألمانية فحسب بل أصبح ملكًا على صقلية، بالإضافة لكونه ملكًا على مملكة بيت المقدس الصليبية في الشرق(٤٣) .

"لتفرح السماء وتسعد الأرض"بهذه الكلمات استقبل البابا إنوسنت الرابع خبر وفاة فريدريك الثاني، وعلى الرغم مما أعلنه الإمبراطور فريدريك في وصيته قبل وفاته فيما يخص

علاقته بالكنيسة" إنني أترك جميع ممتلكات الكنيسة حرة وتقضي رغبتي بإعادة جميع حقوقها إليها"(٤٤) إلا إنه بات واضحًا أنه لم تكن وراثة كونراد الرابع لأبيه على هوى البابا؛ لذا فاجأ الجميع وبدون مقدمات بالقول أن كونراد سيكون متمردًا مثل أبيه(٤٥).

ولم يمر وقت طويل حتى أعلن إنوسنت الرابع أن البابوية لن تسمح أبدًا لأي شخص من نسل فريدريك أن يكون له مملكة أو إمبراطورية، وأعلن تصميمه على تدمير تلك الأسرة القوية من جذورها وفروعها، ودُعي إلى الحرب المقدسة ضد كونراد الرابع على أن تكون أكثر شراسة، حيث اتهمه بالهرطقة، وإهانة المقدسات الدينية ورجال الدين، وأنه عدو الكنيسة ،ووعد المشتركين بهذه الحملة بمنحهم صكوك الغفران، وكل الامتيازات التي تمنح للمشتركين بالحملات الصليبية المتجهة إلى الشرق، وقد أرسل العديد من رهبان جماعتي الدومنيكان والفرنيسسكان للدعوة بهذا الأمر بين الشعوب المسيحية في الغرب الأوروبي(٤٦)، ومما لا شك فيه، إن تلك الحملة التي دعا إليها البابا إنوسنت الرابع كانت عاملًا مؤثرًا في حرمان صليبي الشرق من الكثير من المساعدات والإمدادات التي كانت سوف تساعدهم في التخلص من أوضاعهم المضطربة، إذ كان من المتوقع أن يفضل الكثير من الأوروبيين تلك الحملة التي نادي بها البابا، لأنها تعطي الامتيازات نفسها التي تمنح للحملات الصليبية التي تتوجه للشرق، إذ ذلك يمنحهم البقاء في الغرب دون تحمل مشقة السفر ومخاطره في محاربة المسلمين، ومن ثم، باتت سياسة البابا الصليبية تجاه صليبي الشرق مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسياسته تجاه الهوهنشتاوفن بعد عدِّ هؤلاء أعداء للبابوية والكنيسة مثلهم مثل المسلمين

وفي ضوء ما سبق، فإننا إذا حاولنا تفسير دوافع قيام الصراع بين البابا إنوسنت الرابع والإمبراطور كونراد الرابع في تلك المدة، نجد تلك الأسباب متعددة ومتشابكة، حيث يرجح فيليب بوزيهPhilippe Pouzet أن إنوسنت الرابع كسميه الثالث يؤمن إيمانًا عميقًا بمبدأ

السمو البابوي ومن له السيادة في القارة الأوروبية، من ثم، كان ذلك دافعًا قويًا لتجدد الصراع إضافة إلى مسألة المدن اللمباردية الإيطالية والتي كانت العقبة الرئيسة أمام السلام بين طرفي الصراع كانت سببًا مباشرًا في تجدد النزاع البابوي مع كونراد زمن البابا إنوسنت الرابع(٤٧)، وحسبما يذكر المؤرخ جيفري باركلو Geoffrey Barraclough أن الإمبراطور كونراد ورث عن أبيه استعداده التساهل في كافة المشاكل الكنسية المعلقة دون أن يسمح للبابا إنوسنت الرابع بالتدخل في حقوقه الإمبراطورية في المدن اللمباردية(٤٨)، في حين ترى دراسة أخرى أن الصراع البابوي في القرن الثالث عشر/ السابع الهجري كان قد أخذ صبغة قانونية، وغدا أبطاله في المقام الأول من رجال القانون ووجدنا بابوات ذوي خلفية قانونية مثل إنوسنت الثالث وجريجوري التاسع ثم إنوسنت الرابع، وهو ما فسره هؤلاء بأنه يوجد إمبراطوريتان أحدهما في الارض يحكمها العلمانيون وأخرى في السماء لرجال الدين والبابا يحكم الاثنين أي له السلطتان: الزمنية والروحية، ومن ثم فكان طبيعيًّا أن يقتنع إنوسنت الرابع بهذا المبدأ ويواصل صراعه ضد السلطة الزمنية المتمثلة في كونراد خليفة فريدريك الثاني(٤٩).

في حقيقة الأمر، يتفق الباحث مع كل ما ورد من آراء أوردها المؤرخون حول دوافع قيام الصراع بين البابا إنوسنت الرابع والإمبراطور كونراد في تلك المدة، مضيفًا دوافع أخرى في غاية الأهمية، ومنها ما يتعلق بالدافع الشخصي، حيث لا يمكن إغفال الشخصية القوية التي تمتع بها إنوسنت الرابع، وأنه عاصر ما حدث مع أسلافه ومعه شخصيًّا من جانب فريدريك الثاني– والد كونراد –، وبالطبع كان يشعر بالغضب تجاه كونراد خاصة، وأنه شاهد الأخير مشتركًا مع والده في صراعه ضده، وبالطبع أيضًا كان إنوسنت على علم بمدى قوة كونراد الذي اشترك في محاربة الكنيسة في الخمس سنوات الأخيرة، ولا ننس تلك الرغبة المتأججة لدى إنوسنت الرابع في الانتقام لهيبة كنيسة روما، وعلى رأسها الجالس على الكرسي

البابوي لما حدث لها من قبل على يد الإمبراطور فريدريك من هزائم ومحن؛ لذلك ظل إنوسنت يتحين الفرصة، للقضاء على عدو الكنيسة الأول في تلك المدة وهو الإمبراطور كونراد الرابع وهكذا يمكننا القول بأن البابا إنوسنت الرابع قد اعتبر الصراع مع الإمبراطور كونراد صراعًا دينيًّا وسياسيًّا أي بمعنى آخر: جزء يتجزأ من سياسته الصليبية .

على أيه حال، في مطلع عام ١٢٥١م توغلت القوات التابعة للبابا داخل الأراضي الإيطالية، وبسطت سيطرتها على عدة مدن منها أنكونا Ancona ، وسبوليتوSpoleto وبروجيا Perugia(٥٠)، في الوقت نفسه، أعلن كونراد وجميع أتباع أسرة الهوهنشتاوفن، رفضهم لاستمرار سياسة البابا إنوسنت الرابع تجاة الأسرة على الرغم من وفاة فريدريك، وقد ذكر هؤلاء موجهين كلامهم للبابا: "أنه إذا قطعت رأس نمت عدة رؤوس مكانه"(٥١)، وبالفعل ظلت العلاقات متوترة بين إنوسنت الرابع وكونراد؛ ذلك لأن فريدريك الثاني ترك من بعده أبناء وخلفاء لهم شعبية بين العديد من الطبقات في الغرب الأوروبي، وكان على رأسهم كونراد الرابع الذي أوصى له والده على أن يكون بمثابة وريثًا للإمبراطورية الرومانية وملكة صقلية من بعده(٥٢)، وقد سار هؤلاء على تقوية أنفسهم لما أحسوه من الظلم الذي تعرض له والدهم وسيدهم على يد البابوية وخاصة البابا إنوسنت الرابع.

الجدير بالذكر، إنه عقب أن أدلى البابا إنوسنت الرابع برأيه في خلفاء فريدريك، وعلى وجه التحديد كونراد الرابع، ظهرت في الغرب الأوروبي دعاية نظمها الأخير ضد البابا كان من الواضح أنه كلف بذلك هؤلاء الشعراء الجوالة المعروفين بالتروبادور، وخاصة في إيطاليا، حيث أنصار الهوهونشتاوفن المنتشرين في العديد من المناطق هناك، مما يجعلنا نفترض بيقين أكثر أن الرأي الذي عبر عنه هؤلاء الشعراء كان شخصيًا، وقد يكون وراءه مكاسب ما؛ ونظرًا لأنهم بعد وفاة فريدريك الثاني، بحثوا عن أمراء جدد لرعايتهم، ومن ثم لجأ التروبادور إلى استخدام اللغة البروفنسالية الحادة في تقوية في الخلافات السياسية المريرة، ولا

شك أن أهمها كان صراع البابا إنوسنت الرابع ضد كونراد وكان أنصار الهوهونشتاوفن وعلى رأسهم كونراد هم الأقرب لهم(٥٣)، ولم ينجُ البابا من انتقاداتهم التي وصلت في بعض الأحيان للسباب المقذع فمثلًا، نجد الشاعر بونيفاتشيو دو كاستيلانا في قصيدة كتبها عام١٢٥١م، يتهم فيها البابا إنوسنت الرابع ورجال الكنيسة بأنهم يسعون لحرمان كونراد من ميراثه كي يعطوه لأبنائهم غير الشرعيين(٥٤). والكثير من تلك الهجمات كُتبت بأسلوب عدواني، لا يحمل أي لوم ضد ملوك الغرب العلمانيين وحكامه على إهمالهم للأرضي المقدسة(٥٥).

على أية حال، ووسط تلك الحرب الدعائية ضده، انشغل البابا بالتنقل من مدينة إلى أخرى بحثًا عن الهدايا والمال – على حد قول متى الباريسي- حدث وأن قام كونراد بإشعال الفتن والفوضى في مدينة روما – المقر الأساسي للبابا- مما اضطر الأخير إلى استدعاء برانسيلون أندالو Brancaleone of Andalo "رئيس البرلمان الروماني" من مدينة بولونيا لكي يسيطر ويتحكم في زمام الأمور في روما(٥٦)؛ والذي مالبث فور وصوله أن أرسل نيابة عن سكان روما إلى البابا يناشدونه العودة إلى مدينتهم على الرغم من سلبية سياسته تجاههم في تلك المدة، ولكن فراغ عاصمة البابوية من البابا نفسه يترتب عليه أمور وخيمة على المدينة وشعبها بشكل عام، وخاصة وأن روما هي عاصمة البابوية، وأبدى سكان المدينة الدهشة من تنقله هكذا تاركًا كرسيه في روما فارغًا، بل أرسلوا تهديدًا لأهالي مدينة بورجيا بأنهم إذا استمروا في الإبقاء على البابا في مدينتهم أكثر من ذلك، فسوف يحاصرون مدينتهم ويدمرونها، وعند ذلك اضطر البابا إلى العودة إلى روما ليتم استقباله بالأفراح والسرور وذلك في١٩ إبريل ١٢٥١م(٥٧).

في حقيقة الأمر، كان من الواضح أن خروج البابا من روما لم يكن فقط هربًا من كونراد فحسب، وإنما لأغراض أخرى منها ما أشار إليه متى الباريسي Matthew Paris

وهي جمع الأموال والهدايا المناطق التي يستقر فيها مستندًا إلى مكانته الدينية، ولكن نظرًا لإدراك البابا أن كونراد يمتلك شعبية كبرى في الأراضي الإيطالية، حتى إن متى الباريسي نفسه أوضح أن البابا لم يكن يريد أن يظل في مدينة كبيرة مثل روما خشية الوقوع مثل سمكة في شبكة صيد(٥٨) من ثم، فإن البابا شعر دائمًا بأن حياته في خطر لو قرر العودة لمدينة روما أي بعد أربعة أشهر فقط، وهي مدة قد يكون الغرض منها الترتيب لعودته خاصة من الناحية الأمنية المتعلقة بالمحافظة على حياة البابا.

خرج كونراد بقواته في ديسمبر ١٢٥١م، حيث أحكم سيطرته على صقلية، وفي ٨ يناير ١٢٥٢م وصل إلى سبلاتو Spalato وسيطر عليها(٥٩)؛ مما اضطر إنوسنت الرابع أن يرسل رسالة للملك الإنجليزي هنري الثالث Henry III (١٢١٦-١٢٧٢م) حثه فيها على الإسراع بالخروج بحملته الصليبية تجاه الأراضي المقدسة، التي سبق أن وعد بها قبيل عامين وإن كان في غير استطاعته ذلك فعليه عدم وضع العراقيل في طريق الآخرين(٦٠) . ويعد ذلك دليلًا على أن القضية الصليبية كانت ولا تزال تشغل حيزًا مهمًّا في الصراع البابوي ضد كونراد، وكان البابا يرغب في إظهار كونراد بالمقصر تجاه صليبي الشام.

في تلك الأثناء، استغل كونراد حالة الكرة من جانب حكام بعض المناطق الإيطالية للبابا إنوسنت الرابع، وتمكن من استرداد الجزء الأكبر من الإمبراطورية، حيث تمكن من السيطرة على نابولي وكابوا سردينيا وأبوليا إلى جانب تأييد سكان مرسيليا وكريمونا وبافيا له، بجانب ما ورثه من أملاك عقب وفاة والده في وصيته، فأصبحت دولته تضم وتسيطر على غالبية الأراضي الإيطالية في تلك المدة(٦١) ولا شك أن كونراد تمكن من تحقيق تلك الانتصارات في غفلة من البابوية وعلى رأسها البابا إنوسنت الرابع، الذي قد يكون قد اعتقد بأن الإمبراطورية سقطت بوفاة فريدريك الثاني، وأنها لن تقوم مرة أخرى.

ما أن حقق كونراد تلك الانتصارات والمكاسب في الأراضي الإيطالية، حتى أصاب القلق البابا إنوسنت الرابع ورجال الكنيسة، لذلك كانت هناك مبادرة من قبل الكرادلة في

عام ١٢٥٢م، حيث أشاروا على البابا أنه لابد من سلام بينه وبين كونراد الرابع وأنصاره الذين باتوا يتمتعون بشعبية كبيرة في أغلب أنحاء الإمبراطورية، وعند ذلك، فكر إنوسنت في إيجاد السلام معهم، ينجح من خلاله في تحويل هذا الخلاف إلى تحالف بالمصاهرة وذلك من خلال زواج أحد المقربين من كونراد بإحدى بنات أقرباء البابا(٦٢)، وكانت فكرة الزواج السياسي تلك هي آخر أمل لبسط الهدوء في الصراع البابوي الإمبراطوري لعل ذلك يأتي بنتائج إيجابية على صليبي الشام، حتى يتفرغ البابا لدعوة القوى الأوروبية لدعم الصليبين في المشرق، بينما يتفرغ كونراد الرابع أيضًا لأملاكه في مملكة بيت المقدس حيث إنه يعد حتى لو اسميًّا ملك بيت المقدس .

وفي الوقت الذي انتظر فيه الجميع السلام المنتظر، فوجئوا بفشل محاولات التقارب تلك بين البابا إنوسنت الرابع وكونراد الرابع؛ وذلك بسبب تلك المؤامرة التي تعرض لها كونراد حين تم وضع السم له من قبل أحد أنصار البابا، وهو الأمر الذي كاد أن يودي بحياته لولا براعة أطبائه في إنقاذه، وبعد أن استرد صحته، اتهم كونراد البابا بتدبير تلك المحاولة، كما فعل مع والده من قبل؛ ونتيجة لما سبق رفضت مساعي البابوية في السلام على الرغم من المجهود الذي بذله توماس أوف سافوي صديق البابا المقرب في التوسط بينه وبين كونراد(٦٣) والجدير بالذكر، إنه كان من الواضح أن السياسة الخاطئة التي اتبعها البابا مع فريدريك الثاني قد تركت أثرًا سيئًا، مما جعلت أبناء الأخير وعلى رأسهم كونراد وأنصاره يرجعون أي عمل ضدهم الى البابا وأنصاره.

من جانبه، قرر البابا إرسال مبعوثه ألبير أسقف بارما إلى الأراضي الإنجليزية، حاملًا خطابًا يحتوي على عرض من جانب البابا لريتشارد كورونول يمنح الأخير الأملاك الإمبراطورية في الأراضي الإيطالية ليفاجئ برفض ريتشارد لهذا العرض، وذلك في أواخر عام ١٢٥٢م(٦٤) والملاحظ أن متى الباريسي قد ذكر تلك الحادثة مرتين في حوليته أحداهما في أحداث عام ١٢٥٠م عقب وفاة فريدريك الثاني مباشرة، والأخرى في أحداث

عام١٢٥٢م[٦٥]، ومن ثم، لم يكن البابا في حاجة لتقديم هذا العرض لريتشارد عقب وفاة فريدريك مباشرة، حيث كانت الأمور تبدو تحت سيطرته، ولم يكن كونراد قد أظهر بعد رغبته في صراع والده ضد إنوسنت الرابع، ومن ثم وضع الحدث في عام ١٢٥٢م هو الأقرب للصواب. وفي محاولة منا لتوضيح ما أقدم عليه البابا بعرض تاج الإمبراطورية على ريتشارد، يمكننا القول إنه أراد أن يستعين بأحد الحكام الأقوياء ليشركه في صراعه مع كونراد.

من جانب آخر، وفي الشرق اللاتيني ازدادت أحوال الصليبيين في الشرق سوءًا، وذلك في عام ١٢٥٢م عقب اشتداد هجمات قبائل التركمان[٦٦] عليهم، وظهر ذلك من خلال خطاب أرسله جوزيف دو شانسي أمين خزانة جماعة الاسبتارية في عكا[٦٧] إلى أحد أصدقائه من الرهبان الدومنيكان في إنجلترا، تفيد بأن الصليبيين وتحديدًا في إمارة أنطاكية يتعرضون لغارات قاسية ومدمرة من التركمان؛ مما دفع غالبية أهلها للفرار منها [٦٨]، ونتج عن ذلك تضرر أحوال الصليبيين الاقتصادية؛ بسبب هجمات القبائل الرحل على طرق التجارة في شمال بلاد الشام [٦٩]. وهكذا، وفي ظل الصراعات الدائرة التي انغمس فيها كونراد مع البابا كان صليبيو الشام في مخاطر متعددة من عدة قوى إسلامية في الشرق من التركمان في الشمال والمماليك في الجنوب.

وأثناء تلك المعركة الأخيرة بين البابا إنوسنت الرابع وكونراد، برز أكثر التعليقات مرارة من أحد سكان الأرض المقدسة نفسها، بل ومن أحد الصليبيين وهو ريكو بونومل، أحد فرسان الداوية في بلاد الشام، الذي شعر باليأس والمرارة بسبب الهزائم المتكررة للمسيحيين وتجدد هجمات المسلمين، فقال إن "الرب المسيحي الذي كان يرعى المؤمنين نام، بينما جلبت قوة محمد النصر للمسلمين" وألقى مسئولية ذلك على البابا إنوسنت الرابع وكونراد الرابع[٧٠]، وأضاف الشاعر الجينوي لانفران سيجالا أن صراع إنوسنت مع كونراد ألحق ضررًا شديدًا بالصليبيين، مضيفًا أن الحرب بين هاتين القوتين العظيمتين، في رأيه، جعلت من المستحيل تحقيق الشرط الأول للنجاح في الحرب الصليبية، ألا وهو السلام بين

الممالك المسيحية. وقال إنهما أيضًا لم يُظهِرا أي استعداد للسلام، فقال: "لن أقول أيهما هو المخطئ، عسى الله أن يلهم المذنب كي يصلح نواياه، أو يجعله يموت فجأة"(٧١).

على أيه حال، مع بداية عام ١٢٥٣م حدث أن تجدد الصراع مرة أخرى بعد أن تحمس أنصار كونراد ضد البابا إنوسنت الرابع الذين أشاعوا في أنحاء الإمبراطورية بأن كونراد قد حرم بشكل غير عادل من قبل البابا، وهو بالتالي يمتلك حق التنكيل بالبابا، وأن يكون له ذلك بالنار والسيف، وبناء عليه، قام عدد من أنصار كونراد بالنهب والحرق والتقاتل مع أنصار البابا إنوسنت الرابع في شوارع روما(٧٢)، ليصبح البابا في موقف لا يحسد عليه عقب ما حدث في روما مقر البابوية .

أخيرًا، لم يجد البابا مفر من اللجوء إلى سلاح التشهير والدعاية السيئة للقضاء على خصمه كونراد الرابع، حيث اتهمه بالهرطقة، وأنه جاحد للكنيسة مثل والده فريدريك الثاني، وأنه هو الذي حرض شخصًا يدعى جون موري ليقتل أخيه هنري الصغير– ابن إيزابيلا شقيقه الملك الإنجليزي هنري الثالث، وهدف البابا من ذلك بأن ينال كونراد كره العالم المسيحي بشكل عام والملك الإنجليزي بشكل خاص، ومن الجدير ذكره أنه ربما كانت هذه مؤامرة وخطة دبرها البابا إنوسنت الرابع ضد كونراد ليتخلص منه؛ وكذلك ليوقع بينه وبين الملك الإنجليزي العداوة ويضمه لصفه في صراعه ضد الهونشتاوفن مما يسهل عملية القضاء عليه(٧٣) .

واصل البابا حملة التشهير ضد كونراد الرابع، فوجه إليه العديد من التهم إذ لم يكتف باتهامه بالهرطقة، بل أثار الملك هنري الثالث ضد كونراد، الذي شجع البابا على ذلك بأنه سيقنع جميع الصليبيين المتوجهين للأراضي المقدسة باتباع ملك إنجلترا ومساعدته في الحصول على صقلية وأبوليا بعد وعده البابا بالاعتراف به ملكًا عليهما، وعندما سمع الداوية والاسبتارية بتلك الأخبار وبطريرك بيت المقدس وصليبو الأراضي المقدسة سئموا وخجلوا مما يفعله البابا وقلقوا من وقوع الأسوأ، أما على الجانب الإنجليزي، فقد ابتهج الملك هنري بتلك الوعود، ومن أجل

تحقيق ذلك الهدف وعد البابا بأنه سيدعمه بكل ما يحتاج إليه من أموال في حملته التي كان يفكر فيها ضد كونراد الرابع (٧٤) بل وقيل أن الملك الإنجليزي أفقر الخزانة الإنجليزية من أجل دعم البابا بعد أن وعده الأخير بحكم بعض بقاع الإمبراطورية في الأراضي الإيطالية خاصة صقلية(٧٥)، وبناءً على وعد من الملك هنري الثالث بأنه سوف يسدد عن البابا جميع ديونه، سرعان ما استدان البابا من التجار الإيطاليين حتى تمكن من تجهيز جيش من المرتزقة بقيادة الكاردينال أوكتافيان Octovian ليكون جاهزًا لمهاجمة قوات كونراد الرابع (٧٦).

يتضح مما سبق، كيف استطاع البابا أن يوقع الفتنة بين كونراد الرابع وهنري الثالث، وكيف أنه قام بتغير وجهة الصليبيين من التوجه للحرب المقدسة في الشرق لحربه ضد كونراد في صقلية، وهنا، يتضح مدى براعة البابا في التخطيط من أجل إيقاع الفتنة، وكيف تمكن من استغلال وفاة هنري ابن فريدريك الذي كان محبوبًا من خاله في القضاء على غريمه الجالس على عرش الإمبراطورية في ألمانيا، وبذلك يمكن القول: إن البابا لم يدخر جهدًا من أجل قهر كونراد، حيث عمل على تشويه صورته واتهمه بقتل أخيه، كي يزيد من أعدائه وكيف حرض عليه ملك إنجلترا الذي أفقر الخزانة الإنجليزية من أجل دعم البابا بعد وعده بحكم بعض بقاع الإمبراطورية، وبناءً على وعد من الملك هنري بأنه سوف يسدد عن البابا جميع ديونه، سرعان ما استدان البابا من التجار الإيطاليين حتى تمكن من تجهيز جيش من المرتزقة لمحاربة كونراد الرابع.

وعندما وصلت أنباء تلك الأعمال العدوانية إلى مسامع كونراد، عز عليه تشويه سمعته بتلك الصورة التي تجاوزت الحدود، وحزن لوقوع الملك هنري الثالث في شباك البلاط الروماني، فأصيب بمرض شديد ولزم فراش الموت، وعبر عن ذلك بقوله" واأسفاه واأسفاه! كم أنا إنسان تعيس وشقي لماذا ولدتني أمي؟ ولماذا أنجبني أبي؟ حتى أكون عرضة لمثل هذا العدد من الآلام؟ والكنيسة التي توجب أن تكون أما لأبي ولي هي بالفعل زوجة أب والإمبراطورية التي ازدهرت منذ ميلاد المسيح قد أخذت الآن في التلاشي وقد قضي عليها بالزوال" (٧٧) ثم ما لبث وأن لعن يوم مولده، وبكلمات الحزن والأسى تلك، التي تعبر

عما ما عاناه كونراد الرابع في صراعه مع إنوسنت الرابع ليتوفى كونراد عن ست وعشرين عامًا و ذلك في ٢١ مايو ١٢٥٤م(٧٨).

وهكذا، زادت أحوال الصليبيين سوءًا في٢١مايو ١٢٥٤م؛ عندما توفي كونراد الرابع صاحب الحق الشرعي في المملكة الصليبية، تاركًا لقب مملكة بيت المقدس لابنه كونرادين Conradin الذي لم يكن قد تجاوز الثانية من عمره(٧٩)، ليستقبل البابا خبر وفاة غريمه كونراد بالابتهاج والسرور، وعبر عن ذلك بقوله" أنا مسرور إلى أقصى الحدود، وعلينا نحن جميعا وأبناء الكنيسة الرومانية أن نبتهج " (٨٠).

ومثلما كان شأن والده، لم يكن من المتوقع أن يتوجه كونراد إلى الشرق، بحيث يباشر حكم المملكة الصليبية. وعلى الرغم من ذلك– أو ربما لهذا السبب بالذات– عد الصليبيون كونراد الملك الشرعي للمملكة الصليبية ولو من الناحية الاسمية فقط. وبات واضحًا من ذلك الحين أن من أبرز مظاهر ضعف الصليبيين عدم وجود ملك مقيم بها، بل كان الملوك – في معظم الأحيان– إما أطفالًا وإما غائبين؛ وكان الأوصياء هم الذين يديرون شئون الحكم، ويعينهم بارونات المحكمة العليا الذين يحكمون السيطرة عليهم(٨١)، ومن ثم كان من غير الممكن في تلك الظروف أن يتمكن صليبو الشام من اتخاذ العديد من القرارات المصيرية، خاصة وأن مملكة بيت المقدس الصليبية كانت مفككة سياسيًّا من الداخل بسبب الصراعات بين جميع طوائفها السياسية والدينية وإضافة إلى وصول التهديدات المغولية إلى الصليبيين التي تأمرهم بهدم تحصيناتهم في المدن والقلاع وإرسال مبالغ ضخمة لهم مقابل تفادي الغزو المغولي لأراضيهم، ولم ينقذ الكيان الصليبي في تلك المرحلة من الانهيار المؤكد سوى انشغال المسلمين بالصراع النهائي بين أيوبي الشام ومماليك مصر(٨٢) لتكون حياة كونراد الرابع التي لم تتجاوز السادسة والعشرين عامًا مليئة بالأحداث التي شغلت هذا الشاب ما بين اشتراكه منذ الصغر في الصراع الدائر مع بابوات روما منذ عهد والده واستكماله من بعده وبين واجبه في كونه الملك الشرعي على صليبي الشرق.

الخاتمة

يمكن للباحث من خلال تتبع أحداث دراسة كونراد الرابع بين الصراع البابوي والواجب الصليبي التوصل لعدة استنتاجات يمكن عرضها على النحو التالي:

-أن كونراد الرابع منذ البداية وجدناه منغمسًا في الصراع عقب اشتراكه، وهو في الخامسة عشرة من عمره في معارك عسكريه ضد البابا إنوسنت الرابع مرافقًا لوالده وقائدا للقوات الإمبراطورية.

-كان لدى الصليبيين الأمل في أن يأتي كونراد عقب بلوغه السن القانوني لتولي أمرهم وهو ما لم يحدث طيله عمره القصير حتى بعد أن أصبح حاكمًا خلفًا لوالده فريدريك الثاني.

- الصراع المرير الذي دار بين البابوية ممثلة في إنوسنت الرابع، والإمبراطورية ممثلة في كونراد الرابع، نتج عنه الكثير من السلبيات التي ألقت بظلالها على الكيان الصليبي الموجود في بلاد الشام، فقد كان لهذا الصراع المحتدم بين كونراد وإنوسنت في الغرب الأوروبي، أثره بعد أن بات عائقًا في وصول العديد من الإمدادات والمساعدات للصليبيين، بل وكان سببًا مباشرًا في وجود حزب صليبي معارض للوجود الإمبراطوري والممثل في كونراد بعد خلافته لوالده في الشرق، ذلك الحزب الذي لا شك أنه قد نال مساندة أو على الأقل موافقة من الجانب البابوي، وهو الأمر الذي ألحق بالصليبيين نتيجة صراعهم معا العديد من الخسائر البشرية والمادية، بعد أن عدّ البابا الحرب ضد كونراد جزءًا من الحرب المقدسة ضد المسلمين، ومن ناحية أخرى، كانت مصلحة الصليبيين لم تكن تشغل فريدريك –بصفته ملكًا على المملكة الصليبية الإسمية في الشرق –بقدر رغبته في إثبات هيبته وتوطيد سلطته أمام البابا، ومن ثم تأثرت أحوال صليبيي الشرق تأثرًا مباشرًا بالعلاقة المتوترة بين طرفي النزاع الأوروبي.

أثبتت الأحداث أن إعلان البابا رفع السلاح في وجه كونراد والدعوة إلى حرب صليبية بكل معنى هذه الكلمة–ضده، واستخدام رجال الدين والعلمانيين في الدعوة لهذه الحرب، وقيادة البابا للجيوش التي تعرف باسم القوات البابوية كل هذا أدى دورًا كبيرًا ومهمًّا في ضعف الإمدادات والدعم الأوروبي لصليبيي بلاد الشام، إذ لم تعرقل وصول الإمدادات إلى الشرق اللاتيني فحسب، بل قد تكون سببًا في تشكيك الأوروبيين وبصفة عامة في القضية الصليبية برمتها.

ومما سبق، يظهر لنا أن سياسة كونراد تجاه البابوية ما هي إلا استمرار لنهج أسلافه، فقد انتهج سياسة معادية للبابوية على أمل أن يكسر شوكتها ويحطم نفوذها، لكن ما حدث العكس تمامًا، فهذه السياسة أضعفت من مكانته ومكانه الأسرة الحاكمة في الإمبراطورية، ومنعته عن تقديم واجبه تجاه الصليبيين بصفته ملكًا عليهم حتى ولو من الناحية الإسمية وليست الفعلية.

هوامش البحث:

(١) عن حوادث هذا النزاع وأدواره، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطي، جزءان، القاهرة ١٩٩٤م، ج١، ص ٣٥١-٤٠٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن السمو والتنافس بين السلطتين الروحية والزمنية حول سيادة العالم. انظر: رأفت عبد الحميد: السمو البابوي بين النظرية والتطبيق، منشور في كتاب الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١-٦٦.

(٣) اعتلى الكرسي البابوي في ٨ يناير ١١٩٨م، في يوم وفاة البابا كلستين الثالث واسمه في الأصل لوثاريو كونتي Lotario de Count وهو من أسرة رومانية نبيلة، وقد درس اللاهوت في باريس، والقانون الكنسي في بولونيا وله مؤلفات دينية مهمة، لمزيد من التفاصيل عنه، انظر:
Hans, K., Encyc1pedia of the Papacy, (London, 1959), 84-86.

(٤) هو الكاردينال سنسيوس الذي اعتلى كرسي البابوية تحت اسم هونوريوس الثالث، وقد شغل مناصب دينية عدة قبل ذلك، واشتهر منذ البداية بنجاحه في حل المشكلات التي تواجه الكنيسة في أوروبا، انظر: Hans, K, Encyclopedia of th popacy, pp. 86-87

(٥) رأفت عبدالحميد: المسألة الإيطالية في السياسة الألمانية في العصور الوسطي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٣٠ ،١٩٨٤م ، ص ٣٠٧.

(٦) ومن الملاحظ أن البابا أبدى تلك المخاوف في ١٠ نوفمبر ١٢٢٠م في خطابه إلى أسقف توسكولم Bishop of Tusculum حين قال: "إننا نظر لنوايا وتحركات فريدريك نظرة شك وقلق"، انظر:
Pope Honoriu-s LII, Letter of Pope Honorius III to Bishop of Tusculum (10 Nova. 1220), in Huillard-Bréholles, op. cit., vol. 1, pp. 80-881; CF. also: Donvan,J.,Pelagius and The Fifth Crusade, (Philadelphia, 1950), p. 78.
راجع أيضًا: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، ج١، ص٣٩٤.

(7),p.247 Tout,T.,The Empire and Papacy, (London, 1924.

(8) Martin Kaufhold, Konrad IV (1228-1254): Deutschlands letzter Stauferkönig, Volume 32 van Schriften zur staufischen Geschichte und Kunst, Karl-Heinz Rueß, Gesellschaft für Staufische Geschichte, 2012.

(9) Willy Cohn, Die Geschichte der sizilischen Flotte unter der Regierung Konrads IV. und Manfreds (1250-1266) (German Edition), Berlin d Karl Curtitjs d 1920.

(10) Guy Perry, John of Brienne: King of Jerusalem, Emperor of Constantinople, c. 1175–1237 (Cambridge: Cambridge University Press, 2013), pp. 125–127, 135.

(١١) كانت يولند في الرابعة عشرة من عمرها، عند وصول رسل الإمبراطور، وأتم جيمس رئيس أساقفة كابوا مراسيم زواجها من الإمبراطور نيابة عنه في كنيسة الصليب المقدس بعكا، ثم نقلت إلى صور، حيث توجها –لبلوغها سن الرشد– بطريرك بيت المقدس، بحضور نبلاء الشرق الفرنجي جميعًا واستمرت الأفراح نحو أسبوعين، ثم أبحرت الملكة من صور، ومعها سيمون موجاستيل رئيس أساقفة صور وابن عمها باليان سيد صيدا، ثم أمضت بضعة أيام في قبرص لزيارة خالتها الملكة أليس، انظر:

Eracles, L' Estoire de Erac1es Empereur et la conqueste de la Terre d' Outre–mer, R.H.C. – H. Occ, T.II, (Paris, 1859), pp. 357–358; ;CF.also; Jaroslav Folda, Crusader Art in the Holy Land, From the Third Crusade to the Fall of Acre, (Cambridge University Press, 2005), p. 148.

(١٢) ميناء تجاري مهم فى أبوليا، وهى محطة طريق أبيا Appia وهو الطريق الذي يصل إلى روما مارا بكابوCapua وتكمن أهميتها الإستراتجية في كونها نقطة للانطلاق في الهجوم على دوارزو Dyrrachion عبر البحر الأدرياتيكي Adriatic Sea ، انظر:

John H. Rosser: Historical Dictionary of Byzantium, The Scarecrow Press, 2001, p.60.

(13) Jaroslav Folda, Crusader Art, p.149.

(14) Eracles, L'Estoire, p. 366.

(١٥) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية "صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، جزءان، ط٦، القاهرة ١٩٩٤م، ج٢، ص ٧٩٢.

(١٦) جريجوري التاسع هو أجولينو أوف أوستيا وفللتر Ugolino of Ostia and Velletetra وكان ابن عم البابا الشهير إنوسنت الثالث، وشبيها به فيما امتاز به من عقل وقيادة وعقيدة قوية لا تزعزع، ولعب دورًا مهمًّا في تاريخ العالم المسيحي في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، انظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, Oxford, New York,1988, pp. 189–191.

(17) Röhricht, R., ed. Regesta Regni Hierosolymitani (MXCVII –MCCXCI). Libraria Academica Wageriana: 1893, with Supplement (1904), doc. 1014, p. 266.

(18) Eracles, L'Estoire, p. 380.

(3) Martin Kaufhold, Konrad IV (1228-1254): Deutschlands letzter Stauferkönig, p.

(1) Hans Mayer, "Ibelin versus Ibelin: The Struggle for the Regency of Jerusalem 1253-1258," Proceedings of the American Philosophical Society, vol. 122, no. 1 (Feb. 15, 1978), P.28.

(21) Eracles L'Estoire op.cit., P.420.

(٢٢) تزعمت أسرة إيبلين معارضة وجود ضد فريدريك الثاني في الشرق اللاتيني حتى ولو كان بصفته وصيًّا على ابنه كونراد، في المدن التي آلت مرة أخرى إلى الصليبيين بموجب الصلح الأخير بين كلٍّ من ريتشارد كورنوال والصالح نجم الدين أيوب، وقاموا بالانضمام إلى آل إيبلين في صراعهم ضد فريدريك الثاني. فنجد أن واحدًا من هؤلاء الأمراء الصليبيين الذين أتوا مع حملة ثيوبولد الرابع في عام ١٢٣٩م/ ٦٣٧هـ، وهو فيليب أوف مونتفرت Philip of Montfort "يتولى حكم مدينة تبنين، في عام ١٢٤١م/ ٦٣٩هـ. وكان الحاكم الجديد لتبنين هو ابن أخت يوحنا أوف أيبلين، الذي قام بمشاركة آل إيبلين صراعهم ضد فريدريك الثاني بمجرد توليه الحكم. للمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث، انظر: ياسر مصطفى عبدالوهاب: الصراع الصليبي الإسلامي في الشرق "أسرة إيبلين في بلاد الشام وقبرص زمن الحروب الصليبية"، المكتب العربي للمعارف، القاهرة ٢٠٢٢م، ص ٢٢٠-٢٢٤ ، وأيضًا:

Riely–Smith, Feudal Nobility of The Kingdom of Jerusalem 1174–1277, London,1974, Pp.86, 87; Mayer, "Ibelin versus Ibelin, Hohenstaufen Power in the Levant," Dumbarton, vol. 40 (1986) p. 28.

(23) Philip de Novare, The Wars of Frederick II against the Ibelins in Syria and Cyprus, trans. John la Monte. New York: Columbia University Press, 1936, p.177 .C.F:Yasser Mostafa Abdelwahab, The Impact of the Crusader–Islamic Conflict on the Europeans Pilgrimage in the Thirteenth Century AD/Seventh AH in Journal of Strategic and Military Studies : Twenty–two Issue – March 2024 , A Periodical International Journal published by the "Democratic Arab Center" Germany – Berlin, ,pp.341–358,P.353.

(24) Peter Jackson,The Seventh Crusadep.36

(25) Röhricht, Regesta–add. p. 70, doc. 1123.

(26) Mary Robert Reis, Mary Robert Reis, Pope Innocent IV and Church–State Relations1243–1254, Faculty of the Graduate School of Loyola University

in Partial Fulfillment of the Requircn~ents for the Degree of Doctor of PhilosophyJanuary1972, p. 9

(27) (Huillard–Bréholles, Jean L.A, ed., Historia Diplomatica Frederici Secundi, 6 Tomes. Paris: 1852., t. vi, p. 90–105.

(28) Matthew Paris., English history: from the year 1235 to 1273 tr. by J.A. Giles, vol.2, (1853) p.582.

(29) Huillard–Breholes, Hist. Domploatica, Vol.VI, pp.424427.

وفي الوقت نفسه راسل البابا الأمير اللمباردي جريجوري دي مونتيلاونجو مؤكدًا على التحالف العسكري معه ضد عدوهم المشترك الإمبراطور فريدريك، انظر:

Mary Robert Reis, Pope Innocent IV and Church–State Relations,p.99

(30) Nicolao Curbio, De. Vita Innocentii Paoae IV. Edited byLudovico Muratori. Rerum Italicarum Scriptores. Milan, 1723–1751,.ch.19.

(٣١) في عام١٢٣١م، أصدر فريدريك تشريعات ملفي Constitutions of Melfi كي يقضي من خلالها على الاضطرابات في مملكة صقلية، وإخضاعها للقانون، وتنقسم هذه التشريعات إلى ثلاث مجموعات: الأولى: عن القانون العام، والثانية: عن الإجراءات القانونية التي تتمتع بها المحاكم فيما يخص الإقطاع والأعمال العسكرية والعقوبات، وفي وقت لاحق أضاف لها واحدًا وستين قانونًا جديدًا عرف باسم، Constitutions Novellac وهو أول شكل لمدونة قانونية في العصور الوسطى وكان لهذه التشريعات أثر سيء على العلاقات مع البابوية. للمزيد انظر:

Nicholas of Jamsilla,The Chronicle of Frederick,Conrad&Manfred of Hohenstaufen,Kings of Sicily,1210–1258,Translation and Commentary by. Louis Mendola,NewYork,2016.,p.69.

(32) David Abulafia, Frederick II: a Medieval Emperor (Oxford University Press,1992), p.389.

(33) David Abulafia, Frederick II: a Medieval Emperor,p.390–391.

(34) Nicolao Curbio, De. Vita Innocentii Paoae IV.ch.21.

(35) Matthew Paris, English history, p.879.

(36) ,CF.also: ,p.246 Paul Wiegler, The Infidal Imperor Tout,T., The Empire and Papacy,p.390.

(37) (Tout,T., The Empire and Papacy,p.383.

(38) Matthew Paris, English history, vol.2, pp. 145.

(39) Matthew Paris,English history vol.2, pp. 146; David Abulafia, Frederick II, pp. 405-406;

أسمت غنيم، الدولة الأيوبية والصليبيون، الإ سكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، ص ١٠٤.

(٤٠) أنكونا مدينة لها ميناء على البحر الأدرياتيكي، وهي تبعد ١٠٥ ميل شرق وجنوب شرق مدينة فلورنسا، وقد منح الملك الفرنجي شارلمان هذه المدينة على اللبابوية عام ٧٧٤م، ثم أصبحت جمهورية بحرية شبه مستقلة. انظر:

Courtlandt Canby&David Lemberg, Encyclopedia of Historic Places, (Facts on File,2007), p.42.

(٤١) باللاتينية يطلق عليها سبوليتيوم، وتقع تلك المدينة في إقليم بروجيا بمقاطعة إومبريا شرقي وسط إيطاليا، على تل الأبنيين، وكانت من أهم الدوقيات زمن المملكة اللمباردية، في العصور الوسطى. انظر: Domenico Palmer,The Region of Italy,p.155.

(42) Matthew Paris,English history,p.1084.aslo:-

Nicholas of Jamsilla, The Chronicle, p.83.

(43) Matthew Paris, English history, vol. 2, p.346.

(44) Matthew Paris, English history, p.1180.

(45) Mary Robert, Pope Innocent IV ,p.126

(46) Mary Robert Reis, Pope Innocent IV ,p.126

ظهر ذلك واضحًا من خلال ما ورد في وثائق البابا إنوسنت الرابع ومنها ما أرخ في٥ فبراير ١٢٥١م وأخرى أرخت بتاريخ ١٩ فبراير ١٢٥١م وثالثة أرخت في ٢٩ مارس ١٢٥١م. انظر:

Potthast, C.A.S., ed. Regesta Pontificum Romanorum, 2 vols, (Berlin, 1873 - 1875),II, p. 1173, no. 14204, p. 1177, no. 14258, p. 1177, no. 14258.

(47) Philippe Pouzet, Le pape Innocent IV à Lyon. Le concile de 1245. In: Revue d'histoire de l'Église de France, tome 15, n°68, 1929. pp. 281-318, p.298.

(48) Geoffrey Barraclough, The Origins of Modern Germany, (New york, 1946), p.321

(٤٩) كرامب وجاكوب: تراث العصور الوسطى، جزاءن ترجمة تحت إشراف د محمد مصطفى زيادة، (القاهرة ١٩٦٥م)، ص٤٦١-٤٦٢ رأفت عبد الحميد: " الفكر البابوي الصليبي" ص٩٩.

(٥٠) بروجيا Perugia مدينة تقع في وسط الأراضي الإيطالية، وهي عاصمة إقليم أومبريا، وتطل على نهر التيفيرن وتقع على بعد ١٧٠كم شمال مدينة روما، انظر:

Moore, W:G,The Penguin Encyclopedia of places ,(New York, secondedition1978) ,p. 168.

(51) Matthew Paris, English history, p.1196.

(52) Matthew Paris, English history, PP.1253–1258.

(53) PalmerThroop Criticism of Papal Crusade Policy in Old French and Provençal Speculum, Vol. 13, No. 4 (Oct., 1938), pp. 379-412, p.411.

(54) Ibid, p. 405. Palmer Throop,

(٥٥) يمكن الاطلاع على مناقشة جيدة لتلك القصائد السياسية في:

Palmer Throop, Ibid ,pp.405–406.

(56) Mc Killam, Anni, A Chronicle of The Pope,p.314

(57) Matthew Paris,English history,P.1382

ومن الملاحظ أن حولية البابوات ذكرت أن هذا الأمر تم في عام ١٢٥٣م.

Mc Killam Anni, A Chronicle, p.314.

(58) Matthew Paris, English history, P.1234.

(59) Willy Cohn, Die Geschichte der sizilischen Flotte unter der Regierung Konrads IV, pp.4,12.

(60) Matthew Paris, English history, P.1273.

(61) Matthew Paris, English history, P.1254; aslo; Willy Cohn, Die Geschichte der sizilischen Flotte unter der Regierung Konrads IV,p.14.

(62) Matthew Paris, English history, P.1302.

(63) Matthew Paris, English history, P.1303.

(٦٤) أوضح متى الباريسي أن سبب رفض ريتشارد لعرض البابا إنوسنت الرابع هو قناعته بأنه ليس من الصواب أن يقدم ما هو مؤكد ويسبدله بما ليس مؤكّدا. انظر:

Matthew Paris, English history P.1352.

(65) (Matthew Paris, English history, P.1354.

(٦٦) شهدت مناطق شمال بلاد الشام ظهور ما يعرف بالتركمان في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي هجرات عشائر من الرعاة الرحل الوافدين من أواسط آسيا، وكانت طبيعية بداية من معيشتهم تتمثل في كونهم يسوقون قطعان ماشيتهم أمامهم، ثم ينصبوا خيامهم تارة على هضاب الأناضول السلجوقية، وتارة في سهول حلب، وأحيانًا في مراعي أنطاكية، ولا يميلون للعمل بالزراعة وحرفتهم الأساسية هي الرعي، انظر:

مبارك محمد الطراونة: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، (الأردن، المكتبة الوطنية ٢٠١٠م)، ص١١٠.

(٦٧) جوزيف دو شانسيJoseph de Chuncy هو أمين خزانة الاسبتارية في عكا، كان إنجليزيًّا من يورك شاير، مكث في الأراضي المقدسة أربعة وثلاثين عامًا وعهد إليه الملك إدوارد الأول بتزويده بصورة عن الأوضاع القائمة في الأراضي المقدسة، بعد مغادرة إدوارد للشرق في عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، انظر:

Peter Jackson,The Seventh Crusade,Sources and Documents,2007,p.212.

(٦٨) عندما تعرضت المناطق الريفية المحيطة بأنطاكية في تلك المدة فريسة لهجماتهم المستمرة، مما دفع بوهيمند الخامس إلى طلب المساعدة من الملك لويس التاسع- الذي كان لا يزال في بلاد الشام- والملاحظ أن جوانفيل مؤرخ الملك الفرنسي والمرافق له في الشرق لم يشر إلي تلك الحادثة؛ بينما ذكرها روتلان في أحداث عام ٦٤٨ه/ ١٢٥٠م؛ بينما كان الأقرب إلي الصواب هو ان تلك الحادثة تمت في عام ٦٥٠ه/ ١٢٥٢م حسبما أشار متى الباريسي. انظر:

Matthew Paris,English history,P.1358.

وعن نص رسالة جوزيف دو شانسي إلى صديقه الراهب الدومنيكاني والتر دي سانت مارتين Walter de St.Martin والتي أرخت في ٢٥ صفر ٦٥٠ه/٦ مايو ١٢٥٢م.انظر:

Peter Jackson, The Seventh Crusade, Sources and Documents, p.212-213.

(69) Claud Cahen, La Syrie du Nord a I'epoque des Croisades et ia principaute franque d'Antioche, (Paris,1940), p.697

(70) Criticism of Papal Crusade Policy, p.402. Palmer Throop,

(71) Ibid, p.403. Palmer Throop,

(72) Matthew Paris, English history, P.1430.

(73) Matthew Paris, English history, P.1462.

(74) Matthew Paris,English history,P.1472-1473.aslo:-

Mary Robert Reis, Pope Innocent IV ,p.134

(75) Matthew Paris, English history, P.1473 .

(76) Matthew Paris, English history, p.1473.

(77) Matthew Paris, English history, P.1473.

(٧٨) Matthew Paris's English history, P.1474. وعند حديث مؤلف "مأثر القبارصة" عن كونراد وجه إليه نقدًا قاسيًّا عادّا إياه قد ألحق ضررًا كبيرًا بالكنيسة، ومكانة البابوية أكثر مما فعل

والده فريدريك الثاني. انظر: جيرارد أوف مونتريال: أعمال القبارصة، ترجمة: سهيل زكار، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م الرياض، ص٢٣ .

(79) Mc Killam Anni, A Chronicle of the of The Popes, p.314.

(80) Matthew Paris, English history, P.1475 .

(٨١) كان من المعروف أن أسرة آل إيبلين نجحت ولفترة طويلة من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في تولى أفرادها أمر الوصاية على مملكة بيت المقدس، الذين استغلوا هذا المنصب لخدمة أهدافهم الخاصة في بعض الفترات؛ بل وفي النزاع فيما بينهم، مثلما حدث في الصراع يوحنا أمير أرسوف –السابق ذكره– مع ابن عمه يوحنا أمير يافا (١٢٤٦–١٢٦٦م)، واستطاع الأخير انتزاع الوصاية من الأول في المدة من عام ١٢٥٤ إلى ١٢٥٦م وقد عرف عن يوحنا أمير يافا أن واضع القوانيين الشهيرة لمملكة بيت المقدس. ولمزيد من التفاصيل انظر: للمزيد من التفاصيل عن الدور الذي قامت به أسرة إيبلين في هذا الشأن. انظر:

ياسر مصطفى عبد الوهاب، آل إيبلين، ص ٢٦٠–٢٦٩.

Hans Eberhard Mayer, "Ibelin versus Ibelin" The struggle for the Regency of Jerusalem, 1253–1258, in P.A.P.S:, vol. CXXII, 1972, pp.. 33–36.

(٨٢) عندما نجح المماليك في القضاء على الأيوبية في مصر، وتأسيس دولتهم واجه سلطانهم المعز أيبك العديد من الصعوبات أبرزها تجمع الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام تحت قيادة الناصر يوسف الذي توجه بقواته نحو الأراضي المصرية، ولكنه انهزم أمام المماليك، ولكن ظل الأيوبيون في صدامات مستمرة مع المماليك، إلى أن تدخل الخليفة العباسي المستعصم بالله وأرسل الشيخ نجم الدين أبو محمد عبد الله البادراني نائبًا عنه لإقرار الصلح بين الطرفين، وهو ما تم في صفر٦٥١ه/ إبريل ١٢٥٣م، للمزيد من التفاصيل انظر:

سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، (القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٩٦م) ص١٨٦–١٨٨.

قائمه المصادر والمراجع

أولًا المصادر الأجنبية:

- Eracles, L' Estoire de Erac1es Empereur et la conqueste de la Terre d' Outre- mer, R.H.C. - H. Occ, T.II, (Paris, 1859).
- Huillard-Bréholles, Jean L.A, ed., Historia Diplomatica Frederici Secundi, 6 Tomes. Paris: 1852.
- Huillard-Bréholles, Jean L.A, ed., Historia Diplomatica Frederici Secundi, 6 Tomes. Paris: 1852.
- Matthew Paris's English history: from the year 1235 to 1273 tr. by J.A. Giles, vol.2, (1853).
- Nicholas of Jamsilla, The Chronicle of Frederick,Conrad&Manfred of Hohenstaufen,Kings of Sicily,1210-1258,Translation and Commentary by. Louis Mendola,NewYork,2016.
- Nicolao Curbio, De. Vita Innocentii Paoae IV. Edited byLudovico Muratori. Rerum Italicarum Scriptores. Milan, 1723-1751.
- Philip de Novare, The Wars of Frederick II against the Ibelins in Syria and Cyprus, trans. John la Monte. New York: Columbia University Press, 1936.
- Potthast, C.A.S., ed. Regesta Pontificum Romanorum, 2 vols, (Berlin, 1873 - 1875).
- Röhricht, R., ed. Regesta Regni Hierosolymitani (MXCVII –MCCXCI). Libraria Academica Wageriana: 1893, with Supplement (1904),
- Willy Cohn, Die Geschichte der sizilischen Flotte unter der Regierung Konrads IV. und Manfreds (1250-1266) (German Edition), Berlin d Karl Curtitjs d 1920.

ثانيًا المصادر المعربة:

- جيرارد أوف مونتريال: أعمال القبارصة، ترجمة سهيل زكار ، ، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م

ثالثًا المراجع الأجنبية:

- Claud Cahen,La Syrie du Nord a l'epoque des Croisades et ia principaute franque d'Antioche,(Paris,1940).
- Courtlandt Canby&David Lemberg,Encyclopedia of Historic Places,(Facts on File,2007.
- David Abulafia, Frederick II: a Medieval Emperor(Oxford University Press,1992).
- Donvan,J.,Pelagius and The Fifth Crusade, (Philadelphia, 1950).
- Guy Perry, John of Brienne: King of Jerusalem, Emperor of Constantinople, c. 1175–1237 (Cambridge: Cambridge University Press, 2013.
- Hans Eberhard Mayer, "Ibelin versus Ibelin" The struggle for the Regency of Jerusalem, 1253–1258, in P.A.P.S:, vol. CXXII, 1972.
- Hans Mayer, "Ibelin versus Ibelin: The Struggle for the Regency of Jerusalem 1253–1258," Proceedings of the American Philosophical Society, vol. 122, no. 1 (Feb. 15, 1978).
- Hans, K., Encyc1pedia of the Papacy, (London, 1959).
- Jaroslav Folda, Crusader Art in the Holy Land, From the Third Crusade to the Fall of Acre, (Cambridge University Press, 2005).
- Johannes Fried, The Middle Ages, trans. Peter Lewis, (Harvard: Harvard University Press, 2015).
- John H. Rosser: Historical Dictionary of Byzantium, The Scarecrow Press, 2001.

- Kelly, Oxford dictionary of Popes, Oxford, New York,1988.
- Martin Kaufhold, Konrad IV (1228–1254): Deutschlands letzter Stauferkönig, Volume 32 van Schriften zur staufischen Geschichte und Kunst, Karl–Heinz Rueß, Gesellschaft für Staufische Geschichte, 2012.
- Mary Robert Reis, Mary Robert Reis, Pope Innocent IV and Church–State Relations1243–1254, Faculty of the Graduate School of Loyola University in Partial Fulfillment of the Requircn~ents for the Degree of Doctor of PhilosophyJanuary1972.
- Moore, W:G,The Penguin Encyclopedia of places, (New York,secondedition1978).
- PalmerThroop Criticism of Papal Crusade Policy in Old French and Provençal Speculum, Vol. 13, No. 4 (Oct., 1938).
- Peter Jackson,The Seventh Crusade,Sources and Documents,2007.
- Philippe Pouzet, Le pape Innocent IV à Lyon. Le concile de 1245. In: Revue d'histoire de l'Église de France, tome 15, n°68, 1929.
- Pope Honoriu–s LII, Letter of Pope Honorius III to Bishop of Tusculum (10 Nova. 1220), in Huillard–Bréholles, op. cit., vol. 1, pp. 80–881.
- Pp.86, 87; Mayer, “Ibelin versus Ibelin, Hohenstaufen Power in the Levant,” Dumbarton, vol. 40 (1986) .
- Riely–Smith, Feudal Nobility of The Kingdom of Jerusalem 1174–1277, London,1974,
- Tout,T.,The Empire and Papacy, (London, 1924).
- Yasser Mostafa Abdelwahab, The Impact of the Crusader–Islamic Conflict on the Europeans Pilgrimage in the Thirteenth Century AD/Seventh AH in Journal of Strategic and Military Studies : Twenty–two Issue – March 2024

, A Periodical International Journal published by the “Democratic Arab Center” Germany – Berlin.

رابعًا المراجع العربية:

- أسمت غنيم، الدولة الأيوبية والصليبيون، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.
- رأفت عبد الحميد: السمو البابوي بين النظرية والتطبيق، منشور في كتاب الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى القاهرة ٢٠٠١م.

– المسألة الإيطالية في السياسة الألمانية في العصور الوسطي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٣٠ ،١٩٨٤م

- سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطي، جزءان، القاهرة ١٩٩٤م.

– الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، (القاهرة دار النهضة العربية،١٩٩٦م).

- كرامب وجاكوب: تراث العصور الوسطى، جزاءن ترجمة تحت إشراف د محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٦٥م.
- مبارك محمد الطراونة: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، (الأردن، المكتبة الوطنية ٢٠١٠م).
- ياسر مصطفى عبد الوهاب: الصراع الصليبي الإسلامي في الشرق" أسرة إيبلين في بلاد الشام وقبرص زمن الحروب الصليبية "، المكتب العربي للمعارف، القاهرة ٢٠٢٢م.